الرحمة
في ضوء القرآن الكريم

إعداد:

د. قسيم محمد عليان وردات

مقدمة

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والمجد والثناء، والصلاة والسلام على حبيبه، وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

إن الرحمة من الموضوعات المهمة التي أولاها القرآن الكريم اهتماما كبيرًا، حتى لا يكاد القارئ للقرآن الكريم يمر على بعض آيات الكتاب العزيز، أو بعض صفحاته، إلا ويجد فيها ما يصرح أو يدل على الرحمة الإلهية، أو خلق الرحمة بشكل عام.

بل إن مما يلفت الانتباه أن كل سورة من سور القرآن الكريم -باستثناء سورة التوبة- قد بدأت بالبسملة المشتملة على صفتي الرحيم والرحمن، وهذا له دلالته على أهمية صفة الرحمة في الدين الإسلامي، ومما يدل على أهمية الرحمة -أيضًا- انفرادها بالصدارة من حيث ورودها في القرآن الكريم وبفارق كبير عن أي صفة أخلاقية أخرى. فبينما جاءت صفة الرحمة بمشتقاتها المختلفة أكثر من ثلاثمائة مرة، جاءت صفة الصدق مائة وخمسًا وأربعين مرة، وصفة العفو ثلاث وأربعين مرة، وجاءت صفة الكرم اثنتين وأربعين مرة، وصفة الأمانة أربعين مرة(١).

---

(١) السرجاني، راغب، مقالة بعنوان: الرحمة في الإسلام (١٢-٦-٢٠١١) - موقع قصة الإسلام. islamstory. com/ar/.

والرحمة هي الغاية التي بعث الرسول ﷺ من أجلها، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

وكتاب الله رحمة، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء:٨٢]، ورسول الله رحمة، وأصحابه رحماء فيما بينهم، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

والراحمون يرحمهم الله يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله)(١).

بل إن الإسلام قد أوصى بالرحمة حتى مع الحيوان، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: (أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرّ إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبيَ ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ قال: فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله ﷺ، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه)(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (أن نملة قرصت نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله

---

(١) رواه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم الحديث ١٩٢٤، وهو حديث صحيح، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) رواه أبو داود في السنن، باب ما يؤمَر به من القيام على الدوابِّ والبهائم، رقم ٢٥٤٩، ٤/٢٠٠، وهو حديث صحيح، والهدف ما ارتفع من الأرض، وحائش النخل: بستان النخل الملتف المجتمع، والذفرى: أصل الأذن. وتدئبه أي: تكرهه وتتعبه- ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج٧، ص٢٢١. وينظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ١/ ٣٣١.

إليه أفي أَن قرصتك نملة أَهلكت أمة من الأمم تسبحني؟!)[1]. من هنا جاءت هذه الدراسة لتوضيح كل المعاني السابقة- بحول الله وقوته-.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق هدف رئيس هو بيان مدى عناية القرآن الكريم بالرحمة الربانية، حتى أنها لا تقتصر على الإنسان فحسب، بل تشمل جميع ما خلق الله ﷻ، ومن ثم فإن الدراسة تشتمل على الأهداف التالية:

١. بيان عظمة الإسلام وشموله.

٢. الحث على خلق الرحمة فيما بين الناس.

٣. ترغيب المسلمين فيما عند الله ﷻ، لأنه رحمن رحيم.

مشكلة الدراسة:

١. الرد على من ينعت الإسلام بصفة الإرهاب.

٢. تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة الموجودة عند المغالين من الناس.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري وقفت على عدة دراسات في موضوع الرحمة منها:

١. الرحمة في القرآن -دراسة موضوعية-، وهي رسالة ماجستير قدمها محمد عبدالكريم الحايك في كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٣م.

٢. الرحمة الإلهية -دراسة قرآنية-، وهي رسالة ماجستير قدمها عمران عزت يوسف في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح سنة ٢٠٠٩م.

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، حديث رقم ٥٩٨٦، ٧/ ٤٣.

٣. الكتب التي تتحدث عن الأخلاق الإسلامية مثل: كتاب الأخلاق الإسلامية لعلي فضل الله، وكتاب خلق المسلم للغزالي، وكتاب أخلاق القرآن للشرباصي.

وقد تميزت دراستي بما يلي:

أ. دراسة موجبات الرحمة دراسة قرآنية مع بيان وجه دلالة الآيات على ذلك.

ب. دراسة جوانب رحمة الله سبحانه وتعالى دراسة قرآنية مع بيان وجه دلالة الآيات على ذلك، والتركيز على جوانب مهمة قد قصرت الدراسات السابقة في بيانها، مثل بيان جوانب رحمة الله بعباده في جانب التشريع من خلال دراسة الآيات القرآنية دراسة تحليلية. علمًا بأن رسالة الرحمة الإلهية -دراسة قرآنية- لم تتحدث عن ذلك أبدًا.

ج. تميزت دراستي -أيضًا- بعمل مبحث خاص بعنوان رسائل، وهو عبارة عن إيصال ثلاث رسائل؛ رسالة إلى من ينعت الإسلام بالإرهاب، ورسالتين إلى أصحاب الفكر المتطرف.

منهج الدراسة:

لم أرجع في دراستي هذه إلى الكتب التي تتحدث عن الرحمة في ضوء القرآن الكريم(١)، وإنما رجعت مباشرة إلى آيات القرآن الكريم ذات الصلة بالموضوع، وقمت بدراستها دراسة تحليلية، ومن ثَمّ قمت باستنباط الموضوعات التي اعتنى بها القرآن الكريم في مجال الرحمة.

لذلك يتلخص منهجي في دراسة الموضوع بما يلي:

---

(١) استفدت -فقط- في معرفة آيات الرحمة وتقسيماتها من كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبدالله بن حميد.

أولًا: المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء آيات القرآن الكريم، وبيان الآيات ذات الصلة بالموضوع، وما كتبه المفسرون في تفسير هذه الآيات.

ثانيًا: المنهج التحليلي: وذلك بدراسة الآيات دراسة تحليلية، وتوظيف ذلك كله في المباحث التفصيلية التي عنونت بها الخطة.

ثالثًا: المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الموضوعات التي اعتنى بها القرآن الكريم في مجال الرحمة.

خطة الدراسة:

قد اشتملت هذه الدراسة على أربعة مباحث رئيسة، وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الرحمة.

المطلب الأول: الرحمة لغة.

المطلب الثاني: الرحمة اصطلاحًا.

المطلب الثالث: معاني الرحمة في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الفرق بين الرحمة والمودة والعطف.

المبحث الثاني: الرحمة وموجباتها في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول: الرحمة صفة من صفات الله ﷻ.

الفرع الأول: رحمة الله ﷻ شملت الوجود.

الفرع الثاني: الْفرق بَين الرَّحْمَن والرحيم.

المطلب الثاني: الأسباب الموجبة للرحمة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: جوانب رحمة الله ﷻ في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: رحمة الله ﷻ في إرسال الرسل، إنزال الكتب.

الفرع الأول: رحمة الله ﷻ في إرسال الرسل.

الفرع الثاني: رحمة الله ﷻ في وإنزال الكتب.

المطلب الثاني: من رحمة الله قبول التوبة والعفو عن العاصين والمضطرين.

المطلب الثالث: رحمة الله بعباده في جانب التشريع.

الفرع الأول: الرحمة في أحكام الأموال.

الفرع الثاني: الرحمة في إباحة الغنائم.

الفرع الثالث: الرحمة في تشريع الزواج بأصناف متعددة من النساء.

الفرع الرابع: الرحمة في تشريع العفو والدية.

الفرع الخامس: الرحمة في تحريم القتل.

المبحث الرابع: رسائل.

المطلب الأول: رسالة إلى من ينعت الإسلام بالإرهاب.

المطلب الثاني: رسالتان إلى أصحاب الفكر المتطرف.

الرسالة الأولى: أين الحكمة والموعظة الحسنة، وأين الرحمة واللين في دعوتكم؟!.

الرسالة الثانية: أين أنتم من تحريم الدماء؟!.

المبحث الأول
مفهوم الرحمة

المطلب الأول
الرحمة لغة

الرحمة في اللغة: من رحم يرحم، والراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدل على الرّقّة والعطف والرأفة... وسمِّيت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا من هذا؛ لأنّ منها ما يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقّ له مِن ولد(١)، «وسمّى اللّه الغيث رحمة، لأنه برحمته ينزل من السّماء»(٢)، «وأمّ الرّحم مكّة، والمرحومة من أسماء مدينة رسول اللّه ﷺ شرفها اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»(٣).

المطلب الثاني
الرحمة اصطلاحًا

للعلماء أقوال متقاربة في معنى الرحمة كلها تدور حول حالة من الرقة تقتضي إيصال الخير للمرحوم، وهذه بعض أقوالهم:

قال الراغب الأصفهاني: الرحمة رِقَّةٌ تقتضي الإِحسان للمرحوم(٤).

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٩٨/٢ بتصرف يسير، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٠/١٢.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٠/١٢.
(٣) الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ص١١١٢.
(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٣٤٧/١.

وقال بن القيم: الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد(١).

وقال الجرجانيّ: هي إرادة إيصال الخير(٢).

وقال أبو البقاء الكفوي: الرَّحْمَة هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن بِهِ رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الَذي هو مبدأ الإحسان(٣).

وقال الأحمد نكري: الرحمة إفاضة الخير وإرادة إيصاله(٤).

وبالجمع بين الأقوال السابقة يمكن القول: إن الرحمة هي حالة وجدانية من الرقة تقتضي التفضل والإحسان، وإيصال الخير والمنافع والمصالح إلى المرحوم.

والمقصود برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعباده هي التفضل والإحسان، وإيصال الخير والمنافع والمصالح إليهم(٥).

المطلب الثالث

معاني الرحمة في القرآن الكريم

إن معاني الرحمة فِي القرآن كما يلي(٦):

١. الْجنَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران] أي: في جنته خالدون، وقوله تعالى: ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ﴾ [النساء:١٧٥] يعني في الجنة.

---

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ٢/١٧٤.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص١٨٢.

(٣) أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص ٤٧١.

(٤) الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٢/٩٥.

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ١/٣٤٧، والفيروزآبادى، بصائر ذوى التمييز، ٣/٥٣.
وينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص١٧٦.

(٦) ينظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص٢٢٤-٢٢٥، وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص٣٣١-٣٣٤.

٢. الْإِسْلَام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٥] يعني بدينه الإسلام، وقوله ﷻ: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الإنسان:٣١] يعني في دينه الإسلام.

٣. الْإِيمَان، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [هود:٢٨] يعني بالرحمة الإيمان.

٤. النُّبُوَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف:٣٢]، يعني النبوة.

٥. الْقُرْآن، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس]، أي: بفضل الله وبالقرآن.

٦. الْمَطَر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧]، أي: الغيث.

٧. الرزق، كما في قَوْله تَعَالَى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ [الإسراء:١٠٠]، يعني رزق ربي.

٨. النِّعْمَة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، يعني نعمة منا.

٩. الْعَافِيَة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ [الزمر:٣٨]، أي: بعافية.

١٠. النَّصر والفتح، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗ﴾ [الأحزاب:١٧]، يعني النَّصر والفتح.

١١. التوفيق والْمِنَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ [النساء:٨٣] يعني التوفيق والمنة.

١٢. الرقة والمودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد:٢٧] أي: مودة ورحمة.

١٣. الْمَغْفِرَة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤].

١٤. السعَة والتيسير، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٧٨].

١٥. الْعِصْمَة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] أي: إلا من عصمه الله ﷻ.

المطلب الرابع
الفرق بين الرحمة والرأفة والرقة

أولًا: الفرق بين الرحمة والرأفة

الرَّحْمَة هي إيصال الخير والمصالح والمنافع فهي من باب التحلية، وأما الرأفة فهي دفع المضار والمفاسد فهي من باب التخلية(١).

ثانيًا: الْفرق بَين الرَّحْمَة والرقة

إن الرقة سبب الرحمة؛ ذلك أن الرقة متعلقة بالقلب، بينما الرحمة متعلقة بالفعل، لذلك يقال: رق له فرحمه(٢).

* * *

---

(١) ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص ٤٧١.

(٢) ينظر: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص١٩٥-١٩٦.

المبحث الثاني
الرحمة وموجباتها في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول
الرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى

الفرع الأول: رحمة الله سبحانه وتعالى شملت الوجود.

«الرحمة صفة المولى تباركت أسماؤه! فإن رحمته شملت الوجود، وعمت الملكوت»(١)، والله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: (أترون هذه طارحة ولدها في النار؟)، قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: (لله أرحم بعباده من هذه بولدها)(٢)، ورحمة الله تغلب وتسبق غضبه، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي)(٣).

والله سبحانه وتعالى رحمن رحيم، فقد ورد كثير من الآيات تذكر اسمي الرحمن

---

(١) الغزالي، خلق المسلم، ص١٨٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٦٥٣، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم٢٧٥٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾، رقم ٦٩٦٩، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم ٢٧٥١، واللفظ لمسلم.

الرحيم؛ كليهما، أو أحدهما؛ وقد ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم سبع وخمسين مرة، بينما ورد اسم الرحيم خمس وتسعين مرة[1]، فمن الآيات التي اشتملت على اسمي الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠)﴾ [النمل]، ومن الآيات التي اشتملت على اسم الرحيم دون الرحمن قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨)﴾ [الطور]، وقوله جل جلاله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩)﴾ [الحجر]، ومن الآيات التي اشتملت على اسم الرحمن دون الرحيم قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥)﴾ [طه]، وعند قراءة القرآن فإننا نقول: بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، واللّٰه تعالى يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣)﴾ [الفاتحة]، وقد خصّ اللّٰه تعالى سورة في القرآن الكريم باسمه الرحمن، وابتدأها باسمه فقال جل جلاله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤)﴾ [الرحمن].

الفرع الثاني: الْفرق بَين الرَّحْمَن والرحيم

الرحمن أبلغ من الرحيم؛ وذلك إمّا بحسب شمول الرحمن للدارين، واختصاص الرحيم بالدنيا، وإمّا بحسب كثرة أفراد المرحومين وقلتها، وكلاهما صحيح؛ فإنّ رحمة الدنيا تعم المؤمن والكافر، ورحمة الآخرة تخص المؤمن، لذلك قيل: إنّ اللّٰه سبحانه وتعالى هو رحيم الدّنيا، ورحمن الآخرة، وذلك أنّ رحمته في الدّنيا تعم المؤمنين والكافرين؛ لإنعامه عليهم وإحسانه إليهم جميعا، وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ

---

[1] محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٢٧٦-٢٧٩.

كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فنبه أولًا إلى أن رحمته في الدّنيا تشمل المؤمنين والكافرين، ثم بين أنها في الآخرة مختصّة بالمؤمنين(١).

ولا يطلق الرَّحۡمَنُ إلّا على الله سبحانه وتعالى من حيث إنّ معناه لا يصح إلّا له، إذ هو الذي وسع كل شيء رَحۡمَةً، والرحيم يستعمل في غيره، وهو الذي كثرت رحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٨٢]، وقال في صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة](٢).

المطلب الثاني
الأسباب الموجبة للرحمة في ضوء القرآن الكريم

إن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة قد وسعت رحمته كل شيء، فهو يغفر للتائبين، ويرحم من قام بأسباب الرحمة، قال السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩﴾ [آل عمران] "يخبر سبحانه وتعالى، أنه هو المتصرف في العالم العلوي والسفلي، وأنه يتوب على من يشاء، فيغفر له، ويخذل من يشاء، فيعذبه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فمن صفته اللازمة، كمال المغفرة والرحمة، ووجود مقتضياتهما في الخلق والأمر، يغفر للتائبين، ويرحم من قام بالأسباب الموجبة للرحمة"(٣)

وإن الدارس لكتاب الله سبحانه وتعالى يجد فيه أسبابًا كثيرة موجبة لرحمة الله سبحانه وتعالى وهي كما يلي:

---

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٤٨، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ص ٨٠-٨١، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/١٤٦٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٤٧.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٩٧٤.

١. الإيمان بالله ﷻ.

من الأسباب الموجبة للرحمة الإيمان بالله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ [النساء]، وهنا يمتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة، والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده... ولكن انقسم الناس -بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به- إلى قسمين: فأما القسم الأول فهم الذين آمنوا بالله واعتصموا به، فأولئك سيتغمدهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برحمة منه في الدنيا بأن يوفقهم للخيرات، ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم المكروهات، ويدخلهم في رحمته -أي: الجنة- في الآخرة، ويتفضل عليهم بعد إدخالهم الجنة بالنظر إلى وجهه الكريم، ويهديهم إلى الطريق الواضح القصد، وهو الإسلام⁽¹⁾.

ووجه الدلالة هنا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين شمول رحمته للمؤمنين، بسبب إيمانهم واعتصامهم به، وهذا يدل على أن من موجبات رحمة الله تعالى الإيمان به، والحقيقة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل أي: عمل من أحد، ولا يدخله الجنة إلا بشرط الإيمان.

ومما يدل على رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للذين آمنوا؛ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء].

٢. الهجرة والإيمان

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ

---

(١) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/٤٨٧. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١/٢١٧.

أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة]، وفي هذه الآية بيان ثواب أهل الجهاد والإيمان والهجرة، وهو أن لهم رحمة من الله سبحانه وتعالى، ورضوان، وجنات عالية، قال تعالى: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ)"أي: يبشرهم المولى برحمة عظيمة، ورضوان كبير من ربٍّ عظيم، وجنات عالية قطوفها دانية، لهم في تلك الجنات نعيم دائم لا زوال له"(١).

ووجه الدلالة هنا: أن الله سبحانه وتعالى بين ثواب أهل الجهاد والإيمان والهجرة، ومن ثوابهم شمولهم برحمة الله سبحانه وتعالى ورضوانه، وهذا يدل على أن من موجبات رحمة الله تعالى الإيمان به، والجهاد في سبيله سبحانه وتعالى، والهجرة ابتغاء مرضاته ﷻ.

ومما يدل على رحمة الله سبحانه وتعالى بأهل الجهاد والهجرة؛ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

٣. الجهاد في سبيل الله.

من الأسباب الموجبة للرحمة الجهاد في سبيل الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء]، وفي هذه الآية حث وترغيب بالجهاد، إذ أنها بينت عدم تساوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله، ومن لم يخرج

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ١/٤٨٩.

للجهاد ولم يقاتل أعداء الله في الدرجة، فقد فضل الله سبحانه وتعالى المجاهدين على القاعدين من أهل الأعذار درجة؛ لاستوائهم في النية، وفضل الله المجاهدين في سبيله على القاعدين بغير عذر بدرجات عدة، كما في الحديث النبوي الشريف: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)، ووعدهم الله سبحانه وتعالى بالمغفرة والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر⁽¹⁾.

٤. التوبة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام:٥٤]، ففي هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى أنه أوجب على نفسه المقدسة الرحمة تفضلًا منه وإحسانًا لمن عمل خطيئة من غير قصد، أو أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة، والحلال والحرام، ثم تاب من بعد ذلك الذنب وأصلح عمله فإن الله يغفر له ويرحمه⁽²⁾، وقوله: (ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ) "يدل على أنه لا بد مع ترك الذنوب والإقلاع، والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة"⁽³⁾.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [آل عمران]، والمعنى: إلا الذين تابوا من القذف وأصلحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم ويعفو عنهم⁽⁴⁾.

وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله سبحانه وتعالى التوبة، ومما

---

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٩٥. والصابوني، صفوة التفاسير، ١/ ٢٧٣.
(٢) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل،، ٤/ ٣٧٦، والصابوني، صفوة التفاسير، ١/ ٣٦٤.
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢٥٨ بتصرف يسير.
(٤) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٣٢٧.

يدل على ذلك -أيضًا- قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾ [آل عمران].

٥. الإصلاح والتقوى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات]، وهنا يبين الله سبحانه وتعالى وجوب الأخوة بين المؤمنين في الدين؛ لأنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان، وهذه الأخوة موجبة للإصلاح ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ يعني كل مسلمين تخاصما وتقاتلا، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى(١)، ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾. وهذا تحقيق منه سبحانه وتعالى في حصول الرحمة لمن قام بحقوق المؤمنين ومنه الإصلاح، ولمن اتقاه، وهذا يدل على أن الإصلاح بين المؤمنين، وتقوى الله تعالى من موجبات الرحمة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة(٢).

٦. العفو والصفح

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن]، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين

---

(١) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/١٣٥، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨/١٢٠، والشوكاني، فتح القدير، ٥/٧٤.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧/٣٥١، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٨٠٠.

من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، ومن عداوتهم أنهم يصدونكم عن الخير، كأن يصدونكم عن الجهاد في سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعة الله؛ لذلك احذروا أن تستجيبوا لهم وتطيعوهم، ولكن هذا لا يعني إلحاق الضرر بهم، والغلظة عليهم، فإنه مع الحذر منهم لا بد من العفو عنهم والصفح(١)، "وإن تعفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها بترك المعاقبة، وتصفحوا بالإعراض وترك التثريب عليها، وتغفروا بأن تخفوها وتستروها فإن الله بالغ المغفرة والرحمة لكم ولهم، يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم"(٢).

ووجه الدلالة هنا: أن الله سبحانه وتعالى بين ثواب المؤمنين الذين يعفون ويصفحون، ومن ثوابهم شمولهم برحمة الله، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله سبحانه وتعالى بعباده العفو والصفح.

٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة].

"لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة، ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة، عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة، وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة"(٣)، وقد وصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فوصفهم بخمس صفات، وهي أنهم ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾، ثم بين الله سبحانه وتعالى جزاءهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ "أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

---

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٠٢٣، والصابوني، صفوة التفاسير، ٣/٣٧١.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/٢١٨-٢١٩ بتصرف، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٥/٢٨٤.

(٣) الخازن، لباب التأويل، ٢/٣٨٢.

حَكِيمٌ ﴾ أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، حَكِيمٌ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله، تبارك وتعالى"(١).

وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷻ بعباده الصفات الخمس السابقة وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ.

٨. إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

من موجبات رحمة الله ﷻ بعباده؛ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ويدل على ذلك الآية السابقة، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور]، حيث "يأمر ﷻ بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهرًا وباطنًا، وبإيتاء الزكاة... وطاعة الرسول ﷺ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه... لَعلكم حين تقومون بذلك ﴿تُرْحَمُونَ﴾ فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة"(٢).

٩. الإنفاق في سبيل الله ﷻ

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة]، بعد أن بين الله ﷻ أن الأعراب في جملتهم أشد كفرًا ونفاقًا، وبين أن بعضهم يعتقد أَن المال الذي ينفقه في سبيل الله غرم وخسارة، بين في هذه الآية أن من الأعراب من يتخذ

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٥٤.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٥٧٣.

ما ينفق وسيلة إلى رضا الله والتقرب منه، وسببًا في دعاء الرسول ﷺ لهم بالخير والبركة واستغفاره لهم، حيث كان ﷺ يدعو للمُتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم، عند أَخذه الزكاة الواجبة والصدقات المندوبة ليوزعها على مستحقيها(١)، "ثم أَخبر الله عن قبولها منهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ﴾: أَي: أَلا إن إنفاقهم الصادر عن الإخلاص لله قربة عظيمة لهم عند الله ﷾، وقد وعدهم الله عليها بإِدخالهم الجنة في قوله: ﴿وَمِن سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ أي: يشملهم برحمته وفضله جزاءَ إخلاصهم"(٢).

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷾ شملهم برحمته وفضله بسبب إنفاقهم الصادر عن الإخلاص لله، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷾ بعباده الإنفاق في سبيله ﷻ.

١٠. دعاء الرسول ﷺ.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾ [التوبة] كما أن الآية السابقة تدل على أن من موجبات رحمة الله ﷾ بعباده الإنفاق في سبيله ﷻ، وهذا على معنى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ﴾ أي: نفقاتهم قربة لهم عند الله، وعلى معنى: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم، فإنها تدل أيضا على أن من موجبات رحمة الله ﷾ بعباده دعاء الرسول ﷺ، وهذا على معنى ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ﴾ "أي: صلوات الرسول ﷺ، تقربهم إلى الله ﷾، وتنمي أموالهم وتحل بها البركة"(٣)، "والمعنى

---

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤/٩٦.

(٢) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٤/٦-٧.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٣٤٩ بتصرف يسير.

أنَّه يتقرَّب بصدقته ودعاء الرَّسول ﷺ إلى اللّه تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ﴾ أَيّ: نورٌ ومكرمةٌ عند اللّه"(١).

١١. طاعة اللّه ﷻ وطاعة الرسول ﷺ

قال اللّه تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران] "إن ترك المعاصي ينجي من النار، ويقي من سخط الجبار، وأفعال الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة، ومن أعظم أفعال الخير طاعة اللّه ﷻ، وطاعة الرسول ﷺ، ولهذا قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾... فطاعة اللّه وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة "(٢).

١٢. اتباع القرآن.

من الأسباب الموجبة لرحمة اللّه سبحانه وتعالى اتباع القرآن، لقوله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥]، فإن هذه الآية تبين أن اتباع القرآن والعمل به سبب لرحمة اللّه سبحانه وتعالى، بل هو أكبر سبب لنيل رحمة اللّه، ومعنى الآية: هذا القرآن العظيم فيه النفع الكبير، والخير الكثير، والعلم الغزير، فاعملوا بما فيه، واتقوا أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه، فأكبر سبب لنيل رحمة اللّه سبحانه وتعالى إتباع هذا الكتاب، علمًا وعملا(٣).

١٣. الاستماع إلى القرآن الكريم والإنصات له.

من الأسباب الموجبة لرحمة اللّه سبحانه وتعالى بعباده -أيضًا- الاستماع إلى

---

(١) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص٤٨٧.
(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٤٧ بتصرف.
(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/٩٤. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ٢/١٩٠، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨٠.

القرآن الكريم والإنصات له، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف]. وفي هذه الآية رتب الله ﷻ حصول رحمته على الذي يستمع للقرآن وينصت له، "فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدى متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله ﷻ حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير"(١).

والأمر بالاستماع والإنصات الوارد في هذه الآية "فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني: أنه الإنصات للخطبة، والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين: أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه، والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة"(٢).

ومن ثَم فإن هذه الآية تدل على أن من موجبات رحمة الله ﷻ بعباده الاستماع إلى القرآن الكريم والإنصات له، بل "قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية"(٣).

١٤. الاستغفار.

من الأسباب الموجبة لرحمة الله ﷻ بعباده الاستغفار، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل]. أي: قال صالح لقومه: يا قوم لم تطلبون العذاب قبل الرحمة، ولم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يجلب إليكم العقوبة، هلّا تسألون الله المغفرة،

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٤.
(٢) ابن جزي الكلبي، التسهيل، ٢/٥٩-٦٠.
(٣) ابن جزي الكلبي، التسهيل، ٢/٦٠.

وتتوبون إليه من الشرك رجاء أن ترحموا، أو كي ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير، أولى من استعجال الشر⁽¹⁾.

ووجه الدلالة هنا: أن اللّه ﷻ بين هنا أن صالحًا طلب من قومه الاستغفار لكي يُرحموا فلا يعذبوا، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة اللّه الاستغفار.

١٥. الإحسان.

من الأسباب الموجبة لرحمة اللّه ﷻ بعباده -أيضًا- الإحسان، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، "وهذا إخبار من اللّه ﷻ بأن رحمته قريبة من عباده المحسنين بأي نوع من الأنواع كان إحسانهم، وفي هذا ترغيب للعباد إلى الخير وتنشيط لهم"⁽²⁾، "فكلما كان العبد أكثر إحسانًا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبًا منه برحمته"⁽³⁾.

١٦. الصبر.

قال اللّه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وفي هذه الآيات يبين اللّه ﷻ ثواب الصابرين الذين إذا نزل بهم كرب أو بلاء أو مكروه استرجعوا وأقروا بأنهم عبيد اللّه يفعل بهم ما يشاء، وهو: أن لهم من ربهم ثلاث بشريات:

الأُولى: صلوات اللّه عليهم وهي مغفرته لهم، ورأفته بهم، والثانية: رحمته بإزالة آثار المصيبة، أو تعويضهم بما ينعم به عليهم، من جلب نفع

---

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ٥٨٦/٢، والشوكاني، فتح القدير، ١٦٥/٤.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٢٤٢/٢.

(٣) السعدي، تيسير الكريم المنان، ص٢٩١.

أو دفع ضر، والثالثة: أنهم مهتدون إِلى طريق السعادة، وإلى مطالبهم الدنيوية والأُخروية⁽¹⁾.

ووجه الدلالة هنا: أن اللّه ﷻ بين هنا أن من ثواب الصابرين أن لهم الرحمة منه ﷻ، وهذا يدل على أن من الأسباب الموجبة لرحمة اللّه ﷻ الصبر.

* * *

---

(١) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ١/٩٤، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ١/٢٣٦.

المبحث الثالث
جوانب رحمة الله سبحانه وتعالى في ضوء القرآن الكريم

بعد استقرائي لآيات الرحمة، ودراستي لها دراسة تحليلية، قمت باستنباط جوانب رحمة الله سبحانه وتعالى في ضوء القرآن الكريم -حسب ما ظهر لي-، وهي كما يلي.

المطلب الأول
رحمة الله سبحانه وتعالى في إرسال الرسل، وإنزال الكتب

الفرع الأول: رحمة الله سبحانه وتعالى في إرسال الرسل.

من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده إرسال الرسل وبعث الأنبياء عليهم السلام، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة].

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين، ومن عداوتهم أنهم لا يحبون أن ينزل أي:

خير على رسول الله ﷺ سواء أكان النبوة، أم أي: حكم من أحكام الإسلام، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الأمر ليس على مرادهم، بل إنه يختص برحمته من يشاء، أي: يختار للنبوة من يشاء ممن هو أهل لذلك، ويكرم بدينه الإسلام من يشاء، والله ذو المنّ العظيم لمن اختصه بالنبوة والإسلام(١).

ووجه الدلالة هنا أن الله سبحانه وتعالى وصف النبوة بالرحمة، حيث قال: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يختص النبوة -على قول من قال ذلك- من يشاء من عباده، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى -إذًا- بعباده إرسال الرسل وبعث الأنبياء عليهم السلام.

٢. قوله تعالى: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران] ووجه الدلالة فيها كما في الآية السابقة، وهو قوله: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ﴾ أي: بنبوته(٢)، وقيل: إنها الإسلام، وقيل: القرآن والإسلام. وكلها أقوال صحيحة(٣). وهذا يدل على أن من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده إرسال الرسل، وبعث الأنبياء عليهم السلام، كما أن من رحمته سبحانه وتعالى إنزال الكتب، ومنها القرآن الكريم، ومن رحمته -أيضًا- أنه يهدي لدينه من يشاء.

٣. مما يدل -أيضًا- على أن من رحمة الله بعباده إرسال الرسل قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة].

وهذه الآية تبين نوعًا من قبائح المنافقين السيئة الكثيرة، وهي أنهم

---

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ٨٨/١. والسمعاني، تفسير القرآن، ١٢٠/١، والزمخشري،، الكشاف، ١٧٥/١.

(٢) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ٥٥/٢.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٩٥/١.

كانوا يؤذون خير الخلق محمد ﷺ بتعييبه والطعن في رسالته فيما بينهم بأَن يسموه أُذنًا، أي: أَنه يسمع كل كلام يلقى إِليه ويصدقه، ولا يفرق بين الصحيح والباطل، وهذا الكلام اغترارٌ منهم بحلمه عنهم، وصفحه عن جناياتهم كرمًا وحلمًا وتغاضيًا، فأمر اللّه ﷾ رسوله ﷺ بالرد عليهم: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ أي: هو أذن خير لا أذن شر، يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إِذا سمعه، ثم بين القرآنُ الكريم كونه أَذن خير بقوله: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: يصدِّق اللّه فيما يقول، ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه به لعلمه بإِخلاصهم ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ أي: وهو رحمة للمؤمنين لأنه استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتِّباعه جنّاته⁽¹⁾.

ووجه الدلالة: أن من جملة الردود على المنافقين أن رسول اللّه ﷺ رحمة للمؤمنين، وهذا يدل على أن من رحمة اللّه ﷾ بعباده إرسال الرسل ومنهم محمد عليه السلام إلى الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن الشرك إلى التوحيد.

الفرع الثاني: رحمة اللّه ﷾ في إنزال الكتب.

إن من وجوه رحمة اللّه ﷾ بعباده إنزال الكتب، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف]، وفي هذه الآية يبين اللّه ﷾ أنه أنزل القرآن الكريم، أو الكتب بشكل عام هدى ورحمة بعباده المؤمنين، والمعنى:

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، ٣٢٤/١٤-٣٢٨، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٤٢٤/٢، وينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ٥٠٧/١-٥٠٨.

ولقد جئنا أهل مكة بكتاب هو القرآن العظيم، أو جئنا كلَّ أُمة من الأُمم على لسان رسولها بكتاب بيَّنَّا معانيه، ووضحنا ما فيه من العقائد والأحكام والمواعظ، مفصَّلة على علم تامٍّ منَّا حتى جاء قيّمًا محكما غير ذي عوج -جئناهم بهذه النعم- ﴿هُدٗى﴾؛ أي: دلالة ترشدهم إلى الحق، وتنجيهم من الضلالة ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾؛ أي: ينجيهم من العذاب لما فيه من الدلائل ورفع الشبه لمن آمن به، فهم المهتدون بهداه المنتفعون به(١). فمن رحمة الله ﷻ -إذن- أنه أنزل الكتب لهداية عباده المؤمنين.

٢. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس]، وهذه الآية خطاب لأهل مكة أو لكل الناس(٢)، لبيان نعمة الله العظيمة عليهم في إنزال القرآن الكريم، وقد وصفه الله ﷻ هنا بأربع صفات وهي: موعظة وشفاء وهدى ورحمة؛ والموعظة أي: زاجر مقترن بتخويف عن الشرك، أو ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة، وشفاء لما في القلوب من داء الجهل، وشفاء لها من الشِّرك، وشفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى من الضلالة إلى الحق واليقين، ورحمة للمؤمنين أي: نعمة من الله ﷻ على المؤمنين، إذ نجوا به من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان. ثم قال: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: قل يا مُحمَّد للمؤمنين: بفضل الله في الإسلام وبرحمته في إنزال القرآن. ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ أشار بذلك إلى القرآن، لأن المراد بالموعظة والشفاء: القرآن ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريبًا(٣).

---

(١) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٥/٦٦، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٣/١٤٣٥. والصابوني، صفوة التفاسير، ١/٤١٧.

(٢) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ٢/١٢١.، والخازن، لباب التأويل، ٢/٤٤٨.

(٣) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ٢/١٢١، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/١١٦-١١٧، والخازن، لباب التأويل، ٢/٤٤٨.

ووجه الدلالة: أن اللّه سبحانه وتعالى وصف القرآن الكريم في هذه الآية بأربع صفات، ومنها أنه رحمة للمؤمنين؛ ثم كرر وصف القرآن بالرحمة في الآية التالية إذ قال: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾، وبرحمته أي: القرآن؛ لأنه سبب في هداية الناس في الدنيا، ونجاتهم من العذاب في الآخرة، وهذا يدل على أن من رحمة اللّه سبحانه وتعالى بعباده إنزال الكتب وأهمها القرآن الكريم.

٣. قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف:١١١]، (أي: لقد كانَ في قصة يوسف وإخوته، وقصص سائر الرسل عبرة لذوي العقول النيرة، أو لمن أراد أن يعتبر بيوسف، ويقتدي به، وما كان مثل هذا القرآن اختلاقًا وكذبًا، ولكن تصديق لما سبقه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، وبيان كل ما يُحتاج إليه من العقائد وأحكام الحلال والحرام، وَهُدىً من الضلالة، ورحمة من العذاب لقوم يصدقون بتوحيد اللّه سبحانه وتعالى، وبمحمد ﷺ، وبالقرآن)(١).

ووجه الدلالة في الآية: أن اللّه سبحانه وتعالى وصف القرآن الكريم بأنه رحمة للمؤمنين، وهذا هو شأن كل الكتب المنزلة من اللّه سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله عليهم السلام؛ لأن القرآن الكريم من تلك الكتب، لكنه أعظمها؛ لذا نزل على أفضل الأنبياء محمد ﷺ ليكون اتباعه والعمل به أعظم أسباب الهداية، ونيل رحمة اللّه سبحانه وتعالى(٢)، وهذا يدل على أن من رحمة اللّه سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين إنزال الكتب وأعظمها القرآن الكريم.

---

(١) السمرقندي، بحر العلوم، ٢/٢١٤بتصرف، والبغوي، معالم التنزيل، ٢/٢٨٨. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٤٠٧.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/٩٤. والبيضاوي، أنوار التنزيل، ٢/١٩٠، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨٠.

٤. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ [القصص]، وقد أنعم الله على عبده ورسوله موسى الكليم عليه السلام بإنزال التوراة بعد ما أهلك فرعون وقومه ومن تقدمهم من قوم نوح وهود وصالح ولوط، ليكون ذلك الكتاب مصدر إشعاع للحياة، وبصائر للناس، أي: أنوارا للقلوب يميز به بين الحق والباطل، وهداية من الضلال والعمى، وَهُدىً إلى الاعتقادات الصحيحة ودلائلها، ورحمة لمن آمن به بالإرشاد إلى العمل الصالح، لعل الناس يتذكرون به ويتعظون، ويهتدون بسببه⁽¹⁾.

ووجه الدلالة هنا: أن الله سبحانه وتعالى بين الغاية من إنزال التوراة على نبيه موسى عليه السلام، وهي أنه بصائر للقلوب، وهداية للناس من الضلال والعمى، ورحمة لمن آمن به من العذاب، وهذا يدل على أن من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين إنزال الكتب ومنها التوراة.

المطلب الثاني
من رحمة الله سبحانه وتعالى قبول التوبة والعفو عن العاصين والمضطرين

١. قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة]، ففي هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى أنه لما عصاه آدم «ألقى في روعه أن يتوسل إليه بكلمات ألهمه إياها؛ ليتوب الله عليه، فاستقبلها بالأخذ والقبول، والعمل بها حينما تعلمها، ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾... أي: رجع عليه بالرحمة، بأن قبل توبته... وقوله: ﴿إِنَّهُۥ

---

(١) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/٥٢٣-٥٢٤، والزحيلي، تفسير المنير، ٢٠/١١٠.

﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تعليلا لقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾، ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه هو التواب أي: كثير قبول التوبة، وهي صيغة مبالغة من التوب بمعنى الرجوع عن العقاب إلى المغفرة وقبول التوبة، وإذا وصف به العبد كان بمعنى الرجوع عن المعصية، والرَّحِيمُ العظيم الرحمة. وبذلك فتح الله للعصاة طريق التوبة إذا عصوا، ليتوب عليهم كما تاب على أَبيهم آدم، لأنه سبحانه وتعالى التواب الرحيم»(١)، وفي الجمع بين الاسمين ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وعد للتائب بالإحسان مع العفو(٢).

إذًا قد تاب الله سبحانه وتعالى على أبينا آدم عليه السلام لأنه سبحانه وتعالى تواب رحيم؛ أي: كثير قبول التوبة، وعظيم الرحمة، وهذا يدل على أن من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده قبول التوبة والعفو عن العاصين.

٢. قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية بيان أن من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده قبول التوبة ممن عصى ثم تاب، «فالله سبحانه وتعالى يذكر بني إسرائيل بقول موسى عليه السلام لقومه الذين عبدوا العجل حين كان يناجي ربه بعيدًا عنهم: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادتكم غير الله سبحانه وتعالى فإذا أردتم التكفير عن خطاياكم فتوبوا إلى ربكم توبة صادقة نصوحًا، واقتلوا أنفسكم ليعفو ربكم عنكم، فذلك خير لكم عند خالقكم من الإقامة على المعصية، ففعلتم ذلك فقبل الله توبتكم؛ لأنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده، وهو الواسع الرحمة لمن ينيب إليه ويستقيم على صراطه الواضح»(٣).

---

(١) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٨٢/١.
(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ٢٩٥/١.
(٣) طنطاوي، التفسير الوسيط، ١٣١/١ بتصرف.

ووجه الدلالة هنا: أن الله ﷻ علل قبوله التوبة ممن عصى بأنه تواب رحيم، فمن رحمة الله ﷻ -إذًا- بعباده قبول التوبة ممن عصى إذا تاب توبة صادقة نصوحًا.

المطلب الثالث
رحمة الله بعباده في جانب التشريع

من وجوه رحمة الله بعباده في ضوء القرآن الكريم؛ الرحمة في التشريع، ويتمثل هذا الوجه في عدة أمور، وهي كما يلي:

الفرع الأول: الرحمة في أحكام الأموال

من رحمة الله ﷻ أنه نهى عن أن يأكل المؤمن المال بالباطل، وأحل أكلها بطرق الكسب الحلال كالتجارة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ [النساء]، فبعد أن بين الله ﷻ لعباده ما أحل لهم من النساء، وما حرم عليهم، شرع في بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس، وبيان الوسائل المشروعة في الحصول عليها، وفي هذه الآية ينهى الله ﷻ عباده المؤمنين من أن يأكل بعضهم أموال بعض بأي طريقة غير مشروعة، مثل الغصب، والسرقة، والقمار، والرشوة، والربا، ثم إنه ﷻ -لما حرم أكلها بالباطل- أباح لهم أكلها بوسائل الكسب الحلال كالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المشتملة على الشروط من التراضي وغيره(١)، «ويلحق بالتجارة كل أسباب التملك التي أباحها الشارع، كالهبة، والصدقة، والإرث، وإنما اختصت

---

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٧٥، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٢/٧٩٨-٧٩٩.

التجارة بالذكر من بين هذه الأسباب؛ لأن كسب الإنسان واضح فيها أَكثر من الطرق الأخرى، ولنفي ما قد يتوهم من أنها تشبه الربا، وعبّر سبحانه وتعالى، عن الحصول على الأموال وأَخذها بالأكل؛ لأنه هو المقصود الأول للإنسان من جمع المال، أيًا كانت وسيلته»(١).

وهذا كله من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده لذا قال في نهاية الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي: رحيمًا لأنه نهاكم عن أن يأكل بعضهم أموال بعض بالباطل، ونهاكم عن قتل بعضكم، ووجه الرحمة هنا أنه سبحانه وتعالى بهذه الأحكام حفظ نفوسكم، وصان أموالكم عن إضاعتها وإتلافها(٢).

الفرع الثاني: الرحمة في إباحة الغنائم.

لقد كانت الغنائم محرمة على الأمم السابقة فكان من رحمة الله ﷻ أن أحلها لهذه الأمة، فعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ (أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)(٣).

وقال الله ﷻ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٦٩﴾ [الأنفال]: «وقد روي أَنهم أَمسكوا عن الغنائم، ولم يمدوا أَيديهم إِليها حتى نزلت الآية لتبيح لهم الغنائم، وقد كانت الغنائم لا يحل أَخذها لأَحد قبل هذه الآية، فلما نزلت أَباحت لهم أَخذ الغنائم، والانتفاع بها أَكلًا وغير أَكل، وإِنما عبر بلفظ الأَكل، لأَنه المقصود المهم»(٤).

---

(١) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٢/٧٩٨-٧٩٩.

(٢) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٧٥.

(٣) رواه لبخاري، كتاب التيمم، حديث رقم ٣٢٨، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢١.

(٤) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، ٣/١٦٤٨.

ومعنى الآية: «كلوا يا معشر المجاهدين مما أصبتموه من أعدائكم من الغنائم في الحرب حال كونه حلالًا أي: محللًا لكم ﴿طَيِّبًا﴾ أي: من أطيب المكاسب، لأنه ثمرة جهادكم... ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: خافوا الله في مخالفة أمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: مبالغ في المغفرة لمن تاب، رحيم بعباده حيث أباح لهم الغنائم»⁽¹⁾.

الفرع الثالث: الرحمة في تشريع الزواج بأصناف متعددة من النساء.

من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه أحل الزواج للمؤمنين من أصناف معينة من النساء، وخص رسوله ﷺ ببعض أحكام الزواج من دون المؤمنين تشريفًا وتكريمًا له، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب] ففي هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى ما أحل لنبيه الزواج منهن مما يشترك فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية أربع فئات من النساء المباحات للنبي ﷺ، الأولى: النساء المهورات، والفئة الثانية: ملك اليمين مثل مارية القبطية أم إبراهيم. والفئة الثالثة: بنات العم والعمة والخال والخالة المهاجرات معه من مكة إلى المدينة. والفئة الرابعة: المرأة الواهبة نفسها للنبي بغير مهر، إن رغب النبي في الزواج بها. والفئات الثلاثة الأولى من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين، والفئة الرابعة خاصة بالنبي ﷺ. وإباحة هؤلاء النساء لك أيها النبي لدفع الحرج والمشقة عنك، ورحمة بك وبالمؤمنين، بدفع الحرج والعنت⁽²⁾.

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ١/٤٧٨.

(٢) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط، ٣/٢٠٧٩-٢٠٨٠.

الفرع الرابع الرحمة في تشريع العفو والدية:

من رحمة الله سبحانه وتعالى تخيير ولي أمر المقتول بين القصاص، وبين العفو. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ [البقرة]، وقد كان العفو مفروضًا على النصارى، ولا يجوز لهم القود، وكان القصاص مفروضًا على اليهود، ولا يجوز لهم العفو، فخُيرت هذه الأمة بين القصاص، وبين العفو مطلقًا، أو العفو مع أخذ الدية(١). وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ التخفيف فيما شرعه الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة من التخيير بين القصاص والدية والعفو، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا. ووجه الرحمة أن في الدية تيسيرًا وتسهيلًا على القاتل، ونفعًا لأولياء القتيل(٢).

«وقد جمع الإسلام في عقوبة القتل بين العدل والرحمة، فجعل القصاص حقًا لأولياء المقتول إذا طالبوا به وذلك عدل، وشرع الدية إذا أسقطوا القصاص عن القاتل وذلك رحمة»(٣)

الفرع الخامس: الرحمة في تحريم القتل.

من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه نهى المؤمنين عن قتل بعضهم، حيث قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩] وفي هذه الآية نهى الله سبحانه وتعالى عن أن يقتل المسلم أخاه المسلم، أو أن يقتل نفسه، «ويدخل في ذلك الإلقاءُ

---

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، ١/١١٩، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٣٥٩، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ١/١٢٢، والخطيب الشربيني، السراج المنير، ١/١١٦.

(٢) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ١/١٠٥.

(٣) الصابوني، صفوة التفاسير، ١/١٠.

بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك»[1]، وهذا كله من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعباده لذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ أي: «رحمكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن حرم دماء بعضكم على بعض»[2]. ووجه الرحمة هنا: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذه الأحكام حفظ نفوسكم وصانها من التلف والهلاك.

* * *

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٧٥.

[2] مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ٢/ ١٣٠٠.

المبحث الرابع
رسائل

بعد هذه الدراسة القرآنية وبيان سعة رحمة اللّه سبحانه وتعالى، وبيان شمول رحمته سبحانه وتعالى بعباده سواء في هدايتهم، أو في قبول التوبة منهم، أم في إرسال الرسل إليهم، أو في يسر تشريع الأحكام لهم، ورفع الحرج عنهم، وتحريم القتل، ورحمته سبحانه وتعالى بالحيوان، بل وبالجماد، لا بد من إيصال ثلاث رسائل وهي كما يلي:

المطلب الأول
رسالة إلى من ينعت الإسلام بالإرهاب

نقول لمن ينعت الإسلام بالإرهاب: إنك قلت قولًا بعيدًا عن حقيقة الإسلام؛ لأنك لم تفهم ديننا، فديننا دين الرحمة، ومما يدل على ذلك أنه ينهى عن قتل النساء والأطفال الكافرين وكبار السن في الحروب، ففي الحديث عن نافع أن عبد اللّه رضي الله عنه أخبره: (أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول اللّه ﷺ قتل النساء والصبيان)(١)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: (انطلقوا بسم اللّه وباللّه،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، حديث رقم ٢٨٥١، ومسلم، باب تحريم قتل النساء والصبيان، حديث رقم ٤٦٤٥

وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا ولا امرأة، ولا تغلوا)(١).

ومن رحمته أنه كان ينهى في الحرب عن الغدر أو التمثيل بالقتلى، فعن بريدة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا)(٢).

بل نهى عن قطع الشجر، أو هدم صومعة، أو قتل راهب في صومعته، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من قتل صغيرًا أو كبيرًا أو أحرق نخلًا أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها لم يرجع كفافا)(٣).

وكذلك أوصى الخلفاء من بعده، مثل أبي بكر الصديق ﵁، فعن سعيد ابن المسيب: أن أبا بكر ﵁ لما بعث الجنود نحو الشام يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة قال: لما ركبوا مشى أبو بكر ﵁ مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان؟! فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله، اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله، فإن الله ناصر دينه ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمرون... ولا تغرقن نخلًا ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ

---

(١) أبو داود في سننه، باب في دعاء المشركين، حديث رقم ٢٦١٥. قال شعيب الأرناؤوط حسن لغيره.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، حديث رقم ١٧٣١.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، من حديث ثوبان، حديث رقم ٢٢٣٦٨. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

ولا النساء، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له).(١)

بل إن الإسلام قد أوصى بالرحمة حتى مع الحيوان، فعن عبدالله بن جعفر ﵁ قال: (أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل -يعني حائط نخل- قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبيَّ ﷺ ذرفت عيناه، قال: فأتاه النبي ﷺ فمسح سراته إلى سنامه وذفريه فسكن، قال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ قال: فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنها تشكو إلي أنك تجيعه وتدئبه)(٢)، وعن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ: (أَن نملة قرصت نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: في أَن قرصتك نملة أَهلكت أمة من الأمم تسبحني)(٣)، وعن عبدالله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قَالَ: (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)(٤).

فأين أولئك من خُلق الرحمة، وقد قال رسول الله ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(٥).

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق، رقم ١٧٩٠٤

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب نفقة الدواب، رقم ١٦٢٣٢، وقد صححه الألباني، والحائش: البستان، والسراة: أعلى الظهر، والذفرى: أصل الأذن- ينظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج١، ص٣٣١.

(٣) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، حديث رقم ٥٩٨٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، حديث رقم ٥٩٨٩، والخشاش: هوام الأرض وحشراتها واحده خَشَاشَة.

(٥) سبق تخريجه.

وبعد فهذا هو ديننا، هذا هو عظمة الإسلام، فأين هذا ممن يقتلون الناس من غير تفريق بن صغير وكبير، أو بين شيخ وامرأة، أو بين عسكري ومدني؟!، وأين هذا ممن يرمون الصواريخ والقنابل على البيوت، فلا يفرقون بين بيت ودبابة، أو بين مسجد وكنيسة، أو بين شجر وحجر؟! لكن ليس هذا غريب، فإنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم، وأما الإسلام الذي يفرق بين كل ذلك فهو الدين الذي ارتضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩]، فما أحوج المسلمين إلى الالتزام بشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لينعموا بالريادة، وما أحوج البشر جميعًا إلى الدخول في دين الله أفواجًا لينعموا بالسعادة.

المطلب الثاني
رسالتان إلى أصحاب الفكر المتطرف

الرسالة الأولى: أين الحكمة والموعظة الحسنة، وأين الرحمة واللين في دعوتكم؟!.

كما أن الإسلام دين القوة، فإنه دين الرحمة، وقد بُعث رسول الله ﷺ ليكون رحمة للعالمين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وقد كانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقد كان حبيبنا ﷺ لينًا في دعوته، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران]، وهذا خطاب للنبي ﷺ، وهو بيان لأهمية اللين في الدعوة، «وأن ثمرة اللين هي المحبة، والاجتماع عليه، وأن خلافها من الجفوة والخشونة مؤد إلى التفرق،

والمعنى: لو شافهتهم بالملامة على ما صدر منهم من المخالفة والفرار لتفرّقوا من حولك هيبة منك وحياءً، فكان ذلك سببًا لتفرّق كلمة الإسلام وضعف مادته، وإطماعًا للعدو»(١).

بل كان من رحمته ﷺ أنه يهتم لإنقاذ نفس يهودي عند احتضاره من النار، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)(٢). لذلك دخل الناس في دين الله أفواجًا، ولما اقتدى الدعاة برسول الله ﷺ في دعوته دخلت بلاد كاملة في دين الإسلام من غير قتال، لكن لما لم يفهم كثير من المسلمين ذلك ضلوا وأضلوا، فأوتي الإسلام من فئتين من أبنائه؛ فئة مفرطة ابتعدت عن الالتزام بأحكام الدين، وفئة مغالية متشددة قاموا بتقتيل كثير من المسلمين بحجة أنهم كافرون، وهذا جعل الكثير من غير المسلمين يفهمون الإسلام فهمًا خاطئًا، فينفرون منه.

الرسالة الثانية: أين أنتم من تحريم الدماء؟!.

من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه نهى المؤمنين عن قتل بعضهم حيث قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩] وفي هذه الآية ينهى الله سبحانه وتعالى عن أن يقتل المسلم أخاه المسلم، أو أن يقتل نفسه. «ويدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك»(٣). ذلك أن الدماء غالية، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)(٤)، لذلك فإن القاتل المتعمد

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٤٠٨.
(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، رقم ١٢٩٠.
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٧٥.
(٤) رواه ابن ماجه في السنن، باب التغليظ في قتل مسلم، حديث رقم ٢٦١٩. وهو حديث صحيح صححه الشيخ الألباني.

له جهنم وعليه غضب اللّٰه ﷾، قال اللّٰه ﷾: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء].

بل إن اللّٰه ﷾ أمر المؤمنين في الآية التالية بالتثبت والتبين في قتل من أظهر الإيمان، لئلا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل ضعيف، قال اللّٰه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء]» فاللّٰه ﷾ لما ذكر جزاء من قتل مؤمنًا متعمدًا وأن له جهنم، وذكر غضب اللّٰه عليه ولعنته، وإعداد العذاب العظيم له، أمر المؤمنين بالتثبت والتبين، وأن لا يقدم الإنسان على قتل من أظهر الإيمان، وأن لا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل ضعيف»(١).

والمقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل ضعيف(٢)، «وفيها يأمر اللّٰه ﷾ عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته بالتثبت في جميع أمورهم المشتبهة»(٣)، «وأن يكونوا على بيّنة من الأمر الذي يقدمون عليه بأدلة ظاهرة وقرائن كافية، وألا يأخذوا بالظن السريع، وإنما عليهم التدبّر، حتى يظهر الأمر»(٤)، «والتثبت في القتل واجب حضرًا وسفرًا ولا خلاف فيه، وإنما خص السفر بالذكر؛ لأن الحادثة التي فيها نزلت الآية وقعت في السفر»(٥).

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٣١/٤، بتصرف يسير.
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٣/١١.
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٩٤ بتصرف يسير.
(٤) الزحيلي، التفسير المنير، ج٥، ص٢١٧ بتصرف يسير.
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٤.

فيأيها المؤمنون هذا كتاب الله بين أيديكم يناديكم بـ(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فارعوا له سمعكم والتزموا بمضمونه، فأين من يسارعون في تكفير المسلمين، ويسارعون في قتلهم من هذا الخطاب؟! أين هم من حرمة الدم المسلم؟! ومن التثبت في إصدار الأحكام، ومن التثبت في القتل؟(١) ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)(٢). وإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر بالتثبت في القتل حتى في الجهاد، أليس من باب أولى التثبت فيه في أوقات السلم؟ وإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر بالتثبت في قتل الكافر، أليس من باب أولى التثبت فيه في قتل المسلم؟ بلى، إن الأمر كذلك، والغريب أننا نعيش في عصر يقتل فيه بعضُ أهل الدنيا المسلمين من غير تفريق بين صغير وكبير، وبين رجل وامرأة، ويهدمون البيوت على أهلها من أجل لعاعة من الدنيا، مع أن ديننا ينهى عن قتل النساء والأطفال الكافرين، فكيف بالمسلمين؟! ففي الحديث عن نافع أن عبدالله رضي الله عنه أخبره: (أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان)(٣)، فأين أولئك من خُلق الرحمة، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء)(٤).

* * *

---

(١) ينظر: وردات، قسيم محمد، منهج القرآن الكريم في التثبت، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك- إربد-الأردن، ٢٠١٢م، ص ١٨١-١٨٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره،. ج٨، ص١٠، حديث رقم٦٧٠٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، رقم ٢٨٥١، ج٣، ص١٠٩٨، ومسلم، باب تحريم قتل النساء والصبيان، حديث رقم ٤٦٤٥، ج٥، ص١٤٤.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، رقم٦٤٩٤، ورواه أبو داود في السنن، باب في الرَّحمة، رقم ٤٩٤٩، وهو حديث صحيح صححه الإمام الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة لا بد من ذكر النتائج التالية:

١. سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بدليل كثرة الأسباب الجالبة للرحمة، مثل الإيمان والتقوى والإحسان والاتباع وغير ذلك، فالله سبحانه وتعالى لا يريد العذاب للعباد، وإنما يريد لهم الرحمة، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء]، والله سبحانه وتعالى بين للناس طريق الخير وطريق الشر ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الإنسان:٣١] ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد]، وأراد لهم طريق الخير شرعًا، ولكن اختار أكثر الناس طريق الشر والكفر، قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام].

٢. شمول رحمة الله سبحانه وتعالى، حيث نجد رحمته بعباده في هدايتهم وقبول التوبة منهم، وفي إرسال الرسل إليهم، وفي يسر تشريع الأحكام لهم، ورفع الحرج عنهم، وتحريم القتل، ونجد رحمته بالحيوان، بل وبالجماد.

٣. إن دين الإسلام دين الوسطية، ودين الرحمة؛ لأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله جل جلاله؛ لذلك فهو بعيد كل البعد عن الإرهاب والتطرف، وإن الذين وصفوه بالإرهاب والتطرف، إنما وصفوه بذلك لجهلهم أو حقدهم، أو عداوتهم لدين الإسلام.

٤. إن دين الإسلام دين الفطرة، فهو واضح، ولكن برز من لم يفهمه فخرج عن مبادئ الإسلام في الرحمة واللين والحكمة والموعظة الحسنة، فكان من آثار ذلك ظهور طائفة تكفيرية تقوم بتكفير المسلمين لأتفه الأسباب، وكل ذلك بسبب جهلهم، أو بسبب اندفاعهم غير المبرر، أو بسبب تأويلهم للنصوص بما يخالف حقيقة الإسلام.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١. الأحمد نكري، عبد رب النبي بن عبد رب الرسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

٣. البغوي: الحسين بن مسعود (٥١٠هـ)، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

٤. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى (١٠٩٤هـ)، الكليات، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، د ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥. البيضاوي، عبدالله بن عمر (٦٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

٦. البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة- السعودية، ط. عام ١٤١٤-١٩٩٤.

٧. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (٤٢٧)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩. التهانوي، محمد بن علي (١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، د ط، ١٩٩٦م.

١٠. الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير، القاهرة-مصر، ط ١، ٢٠٠٧م..

١١. ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد (٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت-لبنان، د ط.

١٢. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥. ابن حنبل، أحمد بن محمد(٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

١٦. أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط عام١٤٢٠هـ.

١٧. الخازن، علي بن محمد (٧٤١)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ط، ١٤١٥هـ.

١٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥)، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، د ط.

١٩. الدامغاني، أبو عبدالله الحسين بن محمد (٤٧٨هـ)، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: عربي عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د ط.

٢٠. الرازي، محمد بن عمر التيمي (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته، تحقيق: عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن، الرياض-السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودى، دمشق بيروت، دار العلم الدار الشامية، د ط، ١٤١٢هـ.

٢٣. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢٤. الزمخشري، محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط ٢.

٢٥. الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط عام١٤٠٧هـ

٢٦. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٧. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د ط.

٢٨. السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم (٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر بيروت - لبنان، د ط.

٢٩. السمعاني، منصور بن محمد (٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، د ط، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٠. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبدالدايم (٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣١. الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١ - ١٤١٤هـ.

٣٢. الصابوني، محمد علي (١٤٣٦هـ)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ

٣٣. الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٤. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط١.

٣٥. العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٣٦. الغزالي، محمد٠(١٤١٦هـ)، خلق المسلم، دار نهضم مصر، ط١.

٣٧. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط.

٣٨. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

٣٩. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

٤٠. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق عبدالقادر عرفان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤١. القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤٢. ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط.

٤٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٤. ابن ماجه، محمد بن يزيد (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط د.

٤٥. محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة-مصر، د ط، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.

٤٦. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط١، ١٣٩٣هـ-١٤١٤هـ.

٤٧. مسلم بن الحجاج (٢٦٢هـ)، صحيح مسلم، دار الجيل بيروت + دار الافاق الجديدة- بيروت، ط د.

٤٨. مكي بن أبي طالب، مكي بن حموش (٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٩. المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي (١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر - بيروت -لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٠. ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر، د ط.

٥١. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د ط، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٥٢. الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥٣. وردات، قسيم محمد، منهج القرآن الكريم في التثبت، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك- الأردن -إربد-، ٢٠١٢م.

٥٤. السرجاني، راغب، مقالة بعنوان: الرحمة في الإسلام (١٢-٦-٢٠١١) - موقع قصة الإسلام. من islamstory. com/ar/.